

الضمير المشكل في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة البقرة

د. محمد داود محمد داود - كلية اللغات

أ/سليمان يوسف محمد عبد الله - كلية اللغات

الملخص:

تناولت هذه الورقة الضمير متعرضة لتعريفه في اللغة، واصطلاح النحاة، مبينة ما يتعلق به من مباحث كتصنيف الضمائر في أقسام الكلام، والغرض منها، وعلّة بنائها، وألويتها في التعريف، وأقسامها بعدة اعتبارات، وضمير الفصل، وضمير الشأن، ومرجع الضمير، واستعمال ضمير الغائب في القرآن. وهاتان القضيتان الأخيرتان تقودان إلى الحديث عن ما قد يشكل على قارئ القرآن من عودة بعض ضمائر الغيبة والخطاب.

تهدف الورقة إلى تتبع مواضع الضمير المشكل في القرآن الكريم - تطبيقاً في سورة البقرة - ومعرفة أسباب إشكال تلك الضمائر، مبرزة الصلة الوثيقة بين القرآن الكريم ولغة العرب. جاء ذلك وفقاً للمنهج الوصفي في عرض آراء النحاة والمفسرين، والاستقرائي في تتبع المعلومات المتوفرة، ومن أدواته: الإحصاء في حصر الضمائر المشكّلة في سورة البقرة، والتحليل في تفسير ما يحتاج.

ومن ثم برزت نتائج من أهمها: إن الضمير المشكل في القرآن الكريم قد يتغير به المعنى مما قد يؤدي إلى اختلاف التشريعات أو التكاليف.

الكلمات المفتاحية: الضمير المشكل، ضمير العماد (الفصل)، ضمير الشأن (القصة).

:Abstract

This study strives to deal with the pronoun through explaining its literal and idiomatic meaning as it is used by grammarians in linguistics. This is accompanied by considerations that have led to classify pronouns into, *dhameer al-fasl*, (the pronoun of separation), *dhameer al-imad* (the pronoun of support) as well as the references of the pronoun and the usage of the second and third person in the holy Quran. These two last issues have challenged the reciter of the Quran which need to be resolved. Thus, the study aims to indicate the locations where the enigmatic pronouns have been used and the reasons that make a pronoun enigmatic. To investigate all this, the study has employed the descriptive method to review the grammarians and interpreters opinions and attitudes. The analytical method has also been used to find out the information related to the subject matter of the thesis. Finally, the thesis has reached a number of results and conclusions. The most important result is that the enigmatic pronoun has a variety of linguistic and semantic aspects which lead to different interpretations. This consequently may produce different obligations.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما بعد: فهذه دراسة موجزة جمعت فيها القواعد التي توصل إليها النحاة من سلف هذه الأمة الصالح - ليضبطوا بها قضية الضمير. ومن ثم تسليط الضوء على ما قد يشكل على السامع من عود الضمير، لا سيما ضمير الغائب، وبعض ضمائر الخطاب. ثم تطبيق هذه القواعد على دراسة في القرآن الكريم؛ وذلك باختيار العنوان الذي يناسبها وهو: "الضمير المشكل في القرآن الكريم. دراسة تطبيقية في سورة البقرة".

الهدف من الدراسة

تهدف الدراسة إلى تتبع مواضع الضمير المشكل في سورة البقرة، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى إشكاله، والوقوف على أثر ذلك الإشكال في الأحكام الشرعية والآراء الفقهية، وما يترتب من اختلاف على هذا الإشكال وكيفية الترجيح من واقع السياق اللغوي.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج الوصفي في عرض آراء النحاة والمفسرين، والاعتماد على الاستقراء الناقد والإحصاء والتحليل، وفي مواضع محددة جاء المنهج التاريخي الذي حكم أسباب النزول والشواهد النحوية.

الطرق المستخدمة في الدراسة:

تكونت الدراسة من جزئين اثنين: الأول هو الإطار النظري، والثاني هو الجانب التطبيقي.

تعريف الضمير لغة:

تدور دلالة هذه المادة (ض. م. ر) في معاني: الإخفاء، والهزال، والذبول، والتغيب، والانضمام، والانكماش...^(١)

تعريف الضمير اصطلاحاً:

قال ابن هشام: (المضمر والضمير: اسمان لما وضع لمتكلم كأنا، أو لمخاطب كأنت...)^(٢)

الاستنتاج والمناقشة:

أسلوب القرآن معجز، لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مرامييه ومقاصده، فاحتمل كثيراً من المعاني وكثيراً من الوجوه. ومن ذلك صلاحية ضمير الغائب لأن يعود على أشياء متنوعة سبقته.

هذا التنوع يقود إلى تقسيم الموضوع إلى قضايا على نحو ما يأتي:

القضية الأولى: عود ضمير الغائب على الأقرب:

(١) انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٧٦

(٢) ابن هشام، أوضح المسالك، ج١، ص٧٧

وهذا هو الأصل في الضمير إذا تقدم عليه عدة أشياء تحتمل رجوعه إليها، نحو: جاءني زيد وبكر فضربته، أي: فضربت بكراً، ويجوز مع القرينة أن يعود للأبعد، نحو: جاءني عالم وجاهل فأكرمته.

القضية الثانية: عوده على المُحدَّث عنه أولى من عوده على الأقرب:

كما في قوله تعالى: M ed f g h i j k l m n o

(٣) L w v u t s r p

قال السيوطي: "ضمير" "ذريته" عائد على إبراهيم وهو غير الأقرب لأنه المحدث عنه من أول القصة (٤).

القضية الثالثة: عوده على المضاف الذي هو أحد جزئي الإسناد أولى:

كما في قوله تعالى: M U V W X Y Z [\] (٥) ضمير في (منها) للخرة أو

النار أو للشفا واكتسب التأنيث بالإضافة (٦).

القضية الرابعة: تطابق الضمائر ورجوعها إلى شيء واحد أولى من تفريقها:

كما في قوله تعالى: M Q R S T U V W L (٧) ضمير في (جزؤه) عائد على

الصواع؛ فهو مذكور في الآية السابقة، أي: فما جزاء سرقته، وهو ظاهر لاتحاد الضمائر في

قوله: M [\] [Z Y X] ^ _ a b c d L (٨) وقيل على السارق (٨)

القضية الخامسة: عوده على مصدر الفعل:

كما في قوله تعالى M [\] [Z Y X] (٩) (هو) يعود على ضمير لمفهوم من لعل،

أي التطوع.

القضية السادسة: عوده على غير مذكور مما يدل عليه المعنى:

كما في قوله عز شأنه: M ° ± ² ³ ´ μ L (١٠) ضمير في (لبيهم) عائد على

غير مذكور، بل على ما دل عليه المعنى - أي ما كنت لدى المتنازعين.

القضية السابعة: عوده على معنى اللفظ:

كما في قوله تعالى: M C B D E F G H I J K L M L (١١) (فيها) عائد

على الفلك، وهو مذكر أنت على معنى السفينة.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٧

(٤) السيوطي - معجم الواع، ج ١، ص ٦٥

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

(٦) الزمخشري - الكشاف، ج ١، ص ٣٩٥.

(٧) سورة يوسف، الآية (٧٤).

(٨) أبوحيان - البحر المحيط، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٩) سورة البقرة، الآية (١٨٤).

(١٠) سورة آل عمران، الآية (٤٤).

القضية الثامنة: عوده على اللفظ دون المعنى:

كما في قوله تعالى: ﴿م ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩﴾ : < ; L = (١٢)

الضمير في (تخفوها) عائد على التطوع: فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظاً لا معنى، فيصير نظير: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر (١٣).

القضية التاسعة: عوده على أحد القسمين:

يعود الضمير مفرداً على أحد المذكورين السابقين عليه كما في قوله عز شأنه: ﴿M μ ¶﴾

﴿ ١ لَمْ ﴾ (١٤) "يتسنه" الفاعل ضمير الطعام والشراب لاحتياج كل منهما للآخر، فهما بمنزلة شيء واحد، فلذلك أفرد الضمير في الفعل.

(١١) سورة هود، الآية (٤١) .

(١٢) سورة البقرة، الآية (٢٧١).

(١٣) أبو حيان - البحر المحيط، ج ٢، ص ٣٢٤.

(١٤) سورة البقرة، الآية (٢٥٩).

ضمائر الخطاب المشككة في سورة البقرة:

المقصود بضمير المخاطب إنما هو السامع الحاضر فلا إشكال في مرجعه، ولكن قد يراد بالخطاب العموم فيشمل السامع ومن يأتي بعده، بل من يصلح للمخاطبة بمثله. لا سيما إن كان الخطاب تكليفاً شرعياً فيخرج الضمير من التخصيص إلى التعميم ويسوّغ ذلك قرينة عموم التكليف وعدم قصد تخصيص الحاضرين. وهذا شأن الخطاب الصادر من الدعاة والأمراء والمؤلفين في نحو قولهم: يا قوم، وأنت ترى، وبهذا تعلم ...

فمن باب أخرى أن يحمل خطاب الرسل وخطاب الله عز وجل هذا المحمل. يقول العلامة ابن عاشور: (الظاهر أن خطابات التشريع ونحوها غير جارية على المعروف من توجه الخطاب في أصل اللغات لأن المشرع لا يقصد لفريق معين، وكذلك خطاب الخلفاء والولاة في الظهائر والتقاليد، فقرينة عدم قصد الحاضرين ثابتة واضحة)^(١٥). ويواصل في السياق نفسه قائلاً: (غاية ما في الباب أن تعلقه بالحاضرين تعلق أصلي إلزامي، وتعلقه بالذين يأتون من بعد تعلق معنوي إعلامي. على نحو ما تقرر في تعلق الأمر في علم أصول الفقه فنفرض مثله في توجه الخطاب)^(١٦).

(١٥) محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير - ج ١ - ص (٣٢٦) - دار سحنون - تونس
(١٦) السابق نفس الصفحة

ومن مواضع إشكال ضمير الخطاب في سورة البقرة:

١- قال تعالى: M l k j i h g f e d c b a n m o p q r s t u v w x y z (١٧)

المقصود بهذا الخطاب عدة أقوال:

الأول: أنه عام في جميع الناس، وهذا ما ذهب إليه حبر الأمة ابن عباس - رضي الله عنهما -

الثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، وهذا هو رأي الحسن ومجاهد - رحمهما الله - .

الثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم. وإليه ذهب السدي.

الرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قال به مقاتل. (١٨)

ولكن الأولى حمل الخطاب على العموم؛ فيكون للمؤمنين أمراً بالمدائمة وللكافرين دعوة للإيمان.

٢- قال تعالى: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l

(١٩) L m n o p q r s t u

في الضمير في قوله "تكتُمون" يقول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبیر: المراد ما كتّمه إبليس في نفسه من الكبر والمعصية، وجاء الضمير للجماعة والكاتم واحد على تجوز العرب واتساعها. ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ...) (٢٠) وإنما ناداه عينه، وقيل الأقرع وقالت طائفة: يعود على الجميع أي الملائكة وإبليس.

٣- قال تعالى: M فَأَرْزَأَهُمَا « ¼ ½ ¾ كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مَسْنَفٌ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ L (٢١) هناك عدة أقوال في المقصود بالأمر في قوله تعالى: (أهبطوا):

يرى ابن عباس أن المقصود آدم وحواء والحية. ويتفق معه مقاتل في آدم وحواء ولكنه يرى أن الثالث هو إبليس لا الحية ويرى الفراء أن المخاطب الثالث إلى جانب آدم وحواء إنما هو ذريتهما. أما الحسن فيقول: إن المخاطب هم آدم وحواء والوسوسة . ويرى بعضهم أنه خطاب

يقع فيه لفظ الجمع على التنبيه؛ لأن المخاطبين هما آدم وحواء كقوله تعالى: M h g

(٢٢) L u t s r q p o n m l k j i وهذا هو رأي

الأنباري.

(١٧) سورة البقرة، الآية (٢١)

(١٨) ابن الجوزي، ج ١، ص ٤١ - ومقاتل هو مقاتل بن سليمان بن بشر من أعلام المفسرين من كتبه (التفسير الكبير) ت ٥١٥٠

(١) سورة البقرة الآية (٣٣)

(٢٠) سورة الحجرات، الآية (٤)

(٢١) سورة البقرة، الآية (٣٦).

(٢٢) سورة الأنبياء، الآية (٧٨). والمراد داود وسليمان عليهما السلام

وقد رجح العلامة ابن عاشور هذا الرأي الأخير فقال: (والذي أراه أن جمع الضمير مراد به التنبية لكرامية توالي المثنيات بالإظهار والإضمار من قوله: (وكلا منها رغداً ..) والعرب يستثقلون ذلك كما في قول امرئ القيس:

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ (٢٣)

وإنما له صاحبان لقوله "قفا نبك..." (٢٤)

٤- قال تعالى: M ^ _ ` a b c d e f g h i

j k l m n o p q r s t u v w x y z (٢٥)

اختلف العلماء فيمن خطب بهذا على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه خطاب لمن عبد العجل: أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً. قاله أبو سليمان الدمشقي.

الثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد. وهذا رأي مقاتل.

الثالث: أنه خطاب للكل . وإليه ذهب السدي.

وإنما عوقب الذين لم يعبدوا العجل بقتل أنفسهم - على هذا القول - لأنهم لم يغيروا المنكر حين رأوه وإنما اعتزلوا، وكان الواجب عليهم أن يقاتلوا من عبده- وهذه سنة الله في عباده إذا فشا المنكر ولم يغير عوقب الجميع(٢٦).

٥- قال تعالى: M g h i j k l (٢٧) وفي المخاطب بهذه الآية قولان:

أحدهما: جميع بني إسرائيل.

الثاني: القاتل.

وفي كاف "ذلك" أقوال ثلاثة:

الأول: إشارة إلى إحياء الموتى فيكون الخطاب إلى جميع بني إسرائيل.

الثاني: إلى كلام القاتل، فيكون الخطاب للقاتل.

الثالث: إلى ما شرح من الآيات من مسخ القرده والخنازير، ورفع الجبل، وانجاس الماء، وإحياء القاتل، وممن رأى هذا الرأي الزجاج .

٦- قال تعالى: M 3 μ ¶ L (٢٨) في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: (٢٩)

الأول: أنه النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة قاله ابن عباس ومقاتل.

الثاني: أنه للمؤمنين، تقديره: أفتطمعون أن يصدقوا نبيكم. قاله أبو العالية وقتادة.

(٢٣) ديوان امرئ القيس ص ١٧

(٢٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٣٥

(٢٥) سورة البقرة، الآية (٥٤)

(٢٦) القرطبي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٥

(٢٧) سورة البقرة الآية (٧٤)

(٢٨) سورة البقرة، الآية (٧٥) وتفسير الآية من زاد المسير ج ١ ص ٨٩

(٢٩) القرطبي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٥

الثالث: أنهم الأنصار؛ فإنهم لما أسلموا أحبوا إسلام اليهود للرضاعة التي كانت بينهم.

٧- قال تعالى: M 1 حُسْنَا ل (٣٠) قال ابن عباس وابن جبير: المخاطب هنا اليهود. ومعناه: اصدقوا وبينوا صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - . وقيل: إنهم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - قال أبو العالية: قولوا للناس معروفاً. وقال محمد بن علي بن الحسين: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم. وزعم قوم أن المراد بذلك مساهلة الكفار في دعائهم للإسلام؛ فعلى هذا تكون منسوخة بآية السيف". (٣١)

٨- قال تعالى: M J K L P Q R O N M L K J M (٣٢) وفيه خطب بها ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم قريش. قال به ابن عباس ومجاهد.

الثاني: اليهود - وهو قول مقاتل.

الثالث: جميع العرب، قاله أبو سليمان الدمشقي. (٣٣)

٩- قال تعالى: M ! " % \$ # & ' (L) (٣٤)

قيل: إنها خطاب للمؤمنين وقيل لأهل الكتابين "اليهود والنصارى".

فعلى القول الأول يكون المعنى: ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما في هذه الآية. روي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وسفيان. وعلى القول الثاني يكون المعنى: ليس البر في صلاة اليهود إلى المغرب، وصلاة النصارى إلى المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا قول قتادة ومقاتل. (٣٥)

هذه تسعة مواضع مفرقة في آيات سورة البقرة يجمع بينها أن كلاً منها مشتمل على ضمير للمخاطب يحتمل في عوده عدة وجوه قد تشكل على القارئ من أول وهلة، ولكن يزيل هذا الغموض أهل العلم من سلف الأمة الصالح وقد نقلنا أقوالهم وعزونا إليهم جملة - رحمهم الله جميعاً - وهذه المواضع التي تتبعناها لا شك أن في سائر القرآن - سوى البقرة - من أمثالها الكثير. وبالله المستعان وهو أعلم بالصواب.

(٣٠) سورة البقرة، الآية (٨٣)

(١) القرطبي ج ١ ص ١٢٢ وآية السيف هي قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...) الحج

(٣٢) سورة البقرة، الآية (١٠٨)

(٣٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٩٦

(٣٤) سورة البقرة، الآية (١٧٧)

(٣٥) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١٥٤.

ويتضح في قوله تعالى: M ! " # \$ L (٤٤) وقد أجاب القرطبي - في جامعه - عن ذلك بوجوه: (٤٥)

الأول: لما خوطب آدم في أول القصة بقوله تعالى: (اسكن) خصه بالذكر في التلقي، لذلك كملت القصة بذكره وحده.

الثاني: أن المرأة حرمة ومستورة فأراد الله الستر لها؛ ولذلك لم يذكرها في المعصية.

وقال تعالى: M Φ £ α ¥ | L (٤٦) وقد تخاطب المرأة بخطب جمع الذكور أو يكنى عنها بضمير جمع المذكر مبالغة في سترها. ومنه قوله تعالى: M | § L (٤٧).

الثالث: لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر لم تذكر، كما لم يذكر فتى موسى مع موسى في قوله تعالى: M h j i k l n m L (٤٨)

الرابع: دل بذكر التوبة عليه أنه تاب عليهما إذ أمرهما سواء. قاله الحسن.

الخامس: أنه مثل قوله تعالى: M H I J K L M N L (٤٩) أي التجارة؛ لأنها كانت

مقصود القوم فأعاد الضمير عليها ولم يقل "إليهما" وكقوله تعالى: M ! " #

\$ % & ') * + , - L (٥٠) فحذف إيجازاً واختصاراً. (٥١)

٥- قال تعالى: M T U V W X L (٥٢) والهاء في "به" يحتمل عونها إلى أكثر من

مرجع:

الأول: تعود على القرآن إذ تضمنه قوله " بما أنزلت".

الثاني: تعود على التوراة إذ تضمنها قوله: "لما معكم"، في أول الآية.

الثالث: تعود على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

٦- قال تعالى: M وَأَسْتَعِينُوا Φ £ ¥ § | L (٥٣)

الضمير في "وإنها" تعددت فيه آراء العلماء والمفسرين. وقد جمع القرطبي من ذلك

ثمانية أقوال:

(٤٣) سورة البقرة، الآية (٣٧).

(٤٤) سورة الأعراف، الآية (٢٣)

(٤٥) القرطبي ج ١ ص ٧٦

(٤٦) سورة طه، الآية (١٢١)

(٤٧) سورة طه، الآية (١٠).

(٤٨) سورة الكهف، الآية (٧٥).

(٤٩) سورة الجمعة، الآية (١١)

(٥٠) سورة التوبة، الآية (٦٢)

(٥١) القرطبي، الجامع، ج ١، ص ٣١٤

(٥٢) سورة البقرة، الآية (٤١)

(٥٣) سورة البقرة، الآية (٤٥)

الأول: يعود على الصلاة وحدها خاصة؛ لأنها تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم. والصبر هنا: الصوم.

الثاني: يعود على الصبر والصلاة كليهما. ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله تعالى:

I H M: قوله تعالى: ^(٥٤) L Z Y X W V U T S R M

L N M L K J ^(٥٥) فرد الكناية إلى الفضة؛ لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة؛ لأنها

الأفضل والأهم.

الثالث: لما كان الصبر داخلياً في الصلاة أعد عليها كما قال: M: \$ # " !

. ^(٥٦) L - , + *) (' & %

الرابع: رد الكناية إلى كل واحد منهما، لكن حذف اختصاراً كقوله: M: i h g f e

^(٥٧) L

الخامس: يعود على المصدر وهو الاستعانة التي يقتضيها قوله: (استعينوا).

السادس: يعود على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة.

السابع: يعود على إجابة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن الصبر والصلاة مما كان يدعو إليه.

الثامن: يعود على الكعبة؛ لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها ^(٥٨).

٧- قال تعالى: M: ¥ | § ¨ © ^(٥٩) L وفي تقدير المفعول للفعل (تتظرون)

أقوال: ^(٦٠)

الأول: تتظرون الموت أي: ينظر بعضكم إلى بعض كيف يقع ميتاً.

الثاني: تتظرون الإحياء أي: ينظر بعضكم إلى إحياء بعض.

الثالث: تتظرون العذاب كيف ينزل بكم وهو على قول من قال: نزلت نار فأحرقتهم.

٨- قال تعالى: M: L o n m l k j i h g f ^(٦١) مرجع لضمير

في " فَجَعَلْنَاهَا " فيه أربعة أقوال: ^(٦٢)

الأول: الخطيئة. رواه عطية عن ابن عباس.

(٥٤) سورة التوبة، الآية (٣٤).

(٥٥) سورة الجمعة، الآية (١١).

(٥٦) سورة التوبة، الآية (٦٢).

(٥٧) سورة المؤمنون، الآية (٥٠).

(٥٨) القرطبي، الجامع، ج ١، ص ٣٦٢.

(٥٩) سورة البقرة، الآية (٥٥).

(٦٠) أبو حيان ج ١ ص ٣٤٢ وما بعدها.

(٦١) سورة البقرة، الآية (٦٦).

(٦٢) أبو حيان ج ١ ص ٣٩٨.

الثاني: العقوبة. رواه الضحاك عن ابن عباس وقال الفراء: الهاء: كناية عن المسخة التي مسخوها.

الثالث: القرية، والمراد أهلها، قاله قتادة وابن قتيبة.

الرابع: الأمة التي مسخت، قاله الكسائي والزجاج.

٩- قال تعالى: M { | } ~ يَا بَيِّنَاتٍ ثُمَّ ؤ £ ¤ ¥ |
L (٦٣) S

الهاء في "بعده" تحتل وجهين (٦٤)

الأول: أنها تعود على موسى، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل، قاله ابن عباس ومقاتل.

الثاني: أنها تعود على المجيء لأن "جاءكم" يدل على المجيء.

١٠- قال تعالى: M > ? @ A B C D E G H I J K L M

(٦٥) L Y X W V U S R Q P O N

وفي الهاء والميم من "أحدهم" قولان:

الأول: تعود على اليهود قاله مقاتل.

الثاني: تعود على المشركين فيكون تمام الكلام في "حياة" قاله الفراء. والمراد بالمشركين.

أ- المجوس، وذلك بين في أدعياتهم للعاطس بلغاتهم: عش ألف سنة، وتحيتهم للملوك: عش

ألف نيروز، وألف مهرجان، وخص الألف بالذكر لأنها نهاية العقد.

ب- إنهم مشركو العرب، خصوا بذلك لأنهم لا يؤمنون بالبعث ويتمنون طول العمر. (٦٦)

١١- قال تعالى: M G H I J K L N M L K J I H G M W V U S R Q P O N

(٦٧) L Y X ذكر الزجاج قولين اثنين في مرجع الضمير "هو":

الأول: أنه كناية عن "أحدهم" الذي جرى ذكره، تقديره: وما أحدهم بمزحزحه.

الثاني: كناية عن التعمير، المصدر المفهوم من "يعمر" تقديره، وما التعمير بمزحزحه. وثمة

تأويل آخر لقوله تعالى: "وما هو".

قيل "ما" عاملة حجازية و"هو" اسمها "والخبر بمزحزحه".

(٦٣) سورة البقرة الآية (٩٢)

(٦٤) أبو حيان ج ١ ص ٤٩٥

(٦٥) سورة البقرة الآية (٩٦)

(٦٦) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١ ص ١٠٣

(٦٧) سورة البقرة الآية (٩٦)

وهذا الضمير بهذه الصورة يشبه ضميري الشأن والعماد، وليس واحداً منهما. فهو ليس عماداً لأن العماد يكون بين متلازمين كقوله تعالى: (...إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ...) (٦٨) دخل بين اسم كان وخبرها.

وليس للشأن؛ لأن جملة ضمير الشأن يشترط فيها أن تسلم من حرف الجر (٦٩).

١٢- قال تعالى: M D E F G H I J K L N O P Q R S
L T (٧٠)

هاء "به" فيها أقوال ثلاثة: (٧١)

الأول: أنها تعود على الكتاب.

الثاني: أنها تعود على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

الثالث: أنها تعود على "الهدى" من قوله تعالى: M , - / O L (٧٢)

١٣- قال تعالى: M D E F G H L (٧٣) وفي مرجع الضمير من "فيهم" قولان

الأول: يعود على الذرية، قال مقاتل والفراء.

الثاني: يعود على أهل مكة في قوله: (... وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ ...)

والمراد بالرسول: محمد - صلى الله عليه وسلم - عن أبي أمامة - رضي الله عنه -

أنه قيل: "يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: "دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام". (٧٤)

والكتاب: القرآن والحكمة: السنة، قاله ابن عباس.

١٤- قال تعالى: M W X Y Z [\] ^ ` a b c d g f h
j i (٧٥)

اسم كان من قوله "وإن كانت لكبيرة" ضمير مستتر تقديره "هي" وفي عوده أقوال:

الأول: يعود على "التولية إلى الكعبة" قاله ابن عباس ومجاهد. (٧٦)

الثاني: التحويلة، ذكره القرطبي.

الثالث: قبلة بيت المقدس قبل التحول عنها - قاله أبو العالية والزجاج.

(٦٨) سورة الأنفال الآية (٩٦)

(٦٩) القرطبي، الجامع، ج ٢، ص ٣٢

(٧٠) سورة البقرة الآية (١٢١)

(٧١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦٩٧

(٧٢) سورة البقرة الآية (١٢٠)

(٧٣) سورة البقرة الآية (١٢٦)

(٧٤) رواه الأمام أحمد في المسند ١٢٧/٤

(٧٥) سورة البقرة الآية (١٤٣)

(٧٦) القرطبي ج ١ ص ١٦٤

١٥- قال تعالى: M ! " # \$ % & () * + , - . / O (٧٧)

في هاء "يعرفونه" قولان:

الأول: تعود على النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله ابن عباس.

الثاني: تعود على صرفه إلى الكعبة، قال أبو العالية وقتادة.

١٦- قال تعالى: M : < ; L = > (٧٨) يعود الضمير "هو" على أحد ثلاثة مراجع: (٧٩)

الأول: إلى الله تعالى، فالمعنى موليها إياهم أي أمرهم بالتوجه إليها.

الثاني: إلى المتولي، فالمعنى: هو موليها نفسه. فيكون "هو" ضمير "كل".

الثالث: إلى البيت، قال مجاهد: أمر كل قوم ان يصلوا إلى الكعبة.

١٧- قال تعالى: M خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٦﴾ L (٨٠) لهاء من "فيها" فيها قولان: (٨١)

الأول: أنها تعود إلى اللعنة: قاله ابن مسعود ومقاتل.

الثاني: أنها تعود إلى النار، وإن لم يجر لها ذكر فقد علمت.

١٨- قال تعالى: M ! " # \$ % & (') * + , - . / (٨٢)

اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية، وهذا الخلاف نتج عنه تعدد لمرجع الضمير في "لهم" وخلاصة ذلك ثلاثة أقوال: (٨٣)

الأول: أنها نزلت في الذين قيل لهم:

(... كَلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ ...) (٨٤) فعلى هذا يكون الضمير عائداً عليهم ويكون المراد بالذي

أنزل الله: تحليل الحلال وتحريم الحرام.

الثاني: أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة، فيكون الضمير عائداً على غير مذكور.

ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس. ويكون الذي أنزل الله: الإسلام.

الثالث: أنها نزلت في مشركي العرب وكفار قريش، فيكون الضمير عائداً على قوله: (فَمِنَ

النَّاسِ ...) (٨٥) ويكون الذي أنزل الله: التوحيد والإسلام.

(٤) سورة البقرة الآية (١٤٦)

(٥) سورة البقرة الآية (١٤٨)

(٦) القرطبي ج ١ ص ١٦٦ و ١٦٧

(٧) سورة البقرة الآية (١٦٢)

(٨) أبو حيان ج ٢ ص ٧٣ و ٧٤

(٩) سورة البقرة الآية (١٧٠)

(١٠) أبو حيان ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٣

(١١) سورة البقرة الآية (١٦٨)

(١٢) سورة البقرة الآية (١٦٥)

١٩- قال تعالى: M 4 65 7 L (٨٦)

هاء "حبه" في مرجعها أقوال أربعة ذكرها القرطبي في تفسيره^(٨٧) وهي:
 الأول: تعود على المعطي للمال، وحذف المفعول به وهو المال. ويجوز نصب "ذوي القربى"
 بالحب. فيكون التقدير: على حب المعطي ذوي القربى.
 الثاني: تعود إلى المال؛ فيكون المصدر مضافاً للمفعول.
 الثالث: تعود على الإيتاء، وهو المصدر المفهوم من "أتى".
 وعلى هذا يكون قوله: "على حبه" اعتراضاً بليغاً أثناء القول وهو ما يسمى عند البلاغيين
 بالاحتباس أو التتميم، ومنه قوله تعالى: M O P Q R S T U V W
 X Y Z [\] ^ _ L (٨٨) فجملة (وهو مؤمن) اعتراض بليغ؛ خرج
 به من يعمل الصالحات من غير المؤمنين؛ فالإيمان شرط لقبول الأعمال.

الرابع: تعود على اسم الله من قوله: (من آمن بالله...)

٢٠- قال تعالى: M W V X Y Z [\] ^ _ L (٨٩)

الهاء في "قبله" في مرجعها ثلاثة أقوال: (٩٠)

الأول: أنها ترجع إلى الإسلام، قاله ابن عباس.
 الثاني أنها ترجع إلى الهدى. قاله مقاتل والزجاج.
 الثالث: أنها ترجع إلى القرآن. قاله سفيان الثوري.

٢١- قال تعالى: M 7 8 9 ; L (٩١) وإلى من يضاف للتزيين في هذه الآية

قولان:

الأول: أنه يضاف إلى الله. وقرأ أبي بن كعب والحسن "زَيْنٌ" بفتح الياء. مبنياً للمعلوم على
 معنى: زينها الله لهم.

الثاني: أنه يضاف إلى الشيطان. روي عن الحسن.

والتزيين من الله تعالى هو التركيب الطبيعي، فإنه وضع في الطبائع محبة المحبوب لصورة
 فيه تزينت للنفس، وذلك من صنعه، وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو
 إلى نفسه لزينته. فالله تعالى يزِين بالوضع، والشيطان يزِين بالإذكار^(٩٢)

(٥) سورة البقرة الآية (١٧٦)

(٨٧) القرطبي، الجامع، ج ٢، ص ٢١٥

(٨٨) سورة النساء الآية (١٢٤)

(٨٩) سورة البقرة الآية (١٩٨)

(٩٠) أبو حيان ج ٢ ص ٢٩٨

(٩١) سورة البقرة الآية (٢١٢)

(٩٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١٩٥

٢٢- قال تعالى: M a b c d e f g L^(٩٣) "وما اختلف فيه" في هذه الهاء ثلاثة أقوال:
(٩٤)

الأول: تعود على محمد - صلى الله عليه وسلم - قاله ابن مسعود.

الثاني: تعود على الذين قاله مقاتل.

الثالث: تعود على الكتاب. قاله أبو سليمان الدمشقي، وأما هاء "أوتوه" فعائدة على الكتاب بغير خلاف.

٢٣- قل تعالى: M E F G H I J K L N O L^(٩٥) ضمير في "به" إلى أي شيء يعود فيه ثلاثة أقوال: (٩٦)

الأول: يعود إلى الله تعالى قاله السدي.

الثاني: إلى الحج والمسجد الحرام ذكره القرطبي،

الثالث: إلى السبيل قاله ابن عباس.

٢٤- قال تعالى: M 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100
مُلَقَّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ L^(٩٧)
في مفعول قدموا ستة أقوال:

الأول: قدموا لأنفسكم ما ينفعكم من العمل الصالح. وقد صرح بالمفعول في قوله: M E

٩٨) قاله ابن عباس.
الثاني: قدموا لأنفسكم التسمية عند الجماع، رواه عطاء عن ابن عباس.
قال - صلى الله عليه وسلم -: "لو أن أحدكم أتى امرأته فقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً"^(٩٩)

الثالث: قدموا لأنفسكم ابتغاء الولد والنسل؛ لأن الولد خير الدينا والآخرة فقد يكون شافعاً وجنة، قاله مقاتل.

الرابع: هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحاً طاهراً. ذكره القرطبي.

الخامس: قدموا طاعة الله واتباع أمره. قاله الزجاج.

(٩٣) سورة البقرة الآية (٢١٣)

(٩٤) أبو حيان ج ٢ ص ٣٦٤

(٩٥) سورة البقرة الآية (٢١٧)

(٩٦) القرطبي ج ١ ص ٢٣٨

(٩٧) سورة البقرة الآية (٢٢٣)

(٩٨) سورة البقرة الآية (١١٠)

(٩٩) رواه البخاري في كتاب الدعوات ٦٣٨٨

السادس: قيل هو: تقدم الأفراط، جمع فرط وهو الولد يموت قبل البلوغ قال النبي - صلى الله عليه وسلم: "من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم" (١٠٠)

٢٥- قال تعالى: M 1 عَلَيْهِمَا » ¼ ½ L (١٠١) للضمير في قوله "عليهما" في مرجعه قولان. (١٠٢)

الأول: لا جناح على المرأة فيما افتدت به، ولا جناح على الزوج فيما أخذ، قاله قتادة.

الثاني قال الفراء: يجوز أن يراد الزوج وحده وإن كانا قد ذكرا جميعاً. كقوله تعالى: M 9

: ; < = L (١٠٣) وإنما يخرج من أحدهما. وقوله: (... نَسِيًا حُوتَهُمَا ...) (١٠٤) إنما نسي أحدهما.

٢٦- قال تعالى: M وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ L (١٠٥) في ضمير الوارث أربعة أقوال: (١٠٦)

الأول: أنه وارث المولود. قال به عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير.

الثاني: أنه وارث الوالد. قال به الحسن والسدي.

الثالث: المراد بالوارث: الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر، وهو قول سفيان.

الرابع: المراد بالوارث: الصبي نفسه، والنفقة عليه، فإن لم يملك شيئاً فعلى عصبته. قاله الضحاك.

٢٧- قال تعالى: M : ; < = > ? @ A B C D E F G H I

L [Z YX WV U TSR QIONM L KJ (١٠٧)

الضمير في "بعدهم" فيه قولان:

الأول: من بعد الأنبياء.

الثاني: من بعد موسى وعيسى، قاله مقاتل.

٢٨- قال تعالى: M > = < @ ? A B C D E HGF I J K L M

L S R QPN (١٠٨)

في مرجع الهاء من "أمره أربعة أقوال" (١٠٩)

(٦) رواه البخاري كتاب الجنائز
(١٠١) سورة البقرة الآية (٢٢٩)
(١٠٢) ابو حيان ج ٢ ص ٤٨٠
(١٠٣) سورة الرحمن الآية (٢٢)
(١٠٤) سورة الكهف الآية (٦١)
(١٠٥) سورة البقرة الآية (٢٣٣)
(١٠٦) ابو حيان ج ٢ ص ٥٠٥
(١٠٧) سورة البقرة الآية (٢٥٣)
(١٠٨) سورة البقرة الآية (٢٧٥)
(١٠٩) ابو حيان ج ٢ ص ٧٠٩ والقرطبي ج ١ ص ٣١٥

الأول: ترجع إلى الربا. والمعنى: أمر الربا إلى الله في إمرار تحريمه وتحليله. أو المعنى: يعفو الله عما شاء منه، ويعاقب على ما شاء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

الثاني: أن تكون عائدة على (ماسلف).

الثالث: ترجع إلى المرابي، والتقدير: إن شاء عصمه منه وإن شاء لم يفعل. قاله سعيد بن جبير.

الرابع: ترجع إلى المنتهي.

الخاتمة:

تناولت الورقة في القسم الأول منها باب الضمائر بمباحثه المختلفة، أما القسم الثاني فقد كان تطبيقاً لقضية إشكال الضمير في القرآن الكريم (سورة البقرة).

وتمخضت الدراسة عن النتائج التالية:

١. أن دلالة مادة (ض. م . ر) لم تتغير عما وضعت له أصلاً فهي تدور حول معاني: الإخفاء والهزال والذبول...

٢. أن الغرض من الضمائر: الاختصار، والاحتراز، والفخامة بشأن صاحب الضمير.

٣. أن الضمائر أعرف المعارف. وأدلتها على التعريف: المتكلم، ثم المخاطب، ثم الغائب.

٤. اتصال الضمير أولى من انفصاله؛ لذا لا يعدل إلى المنفصل إلا لسبب.

٥. ضمير الفصل: هو الذي يتوسط بين المبتدأ والخبر، ولفظه لفظ ضمير الرفع، ويسميه الكوفيون "عماداً".

٦. يعود الضمير على الأقرب، ويجوز مع القرينة أن يعود على الأبعد.

٧. تطابق الضمائر ورجوعها إلى شيء واحد أولى من تفريقها.

٨. قد تخاطب المرأة بخطاب جمع المذكر مبالغة في سترها.

٩. ضمير المتكلم لا يشكل رجوعه؛ لأن صاحبه متكلم عن نفسه.

١٠. الأصل في ضمير المخاطب ألا يشكل؛ لحضوره. ولكن إذا قصد بالمخاطب العموم أشكل.

١١. إشكال الضمير قد يؤدي إلى اختلاف المعنى، وعليه أشكلت التشريعات والتكاليف.

التوصيات:

هذا سهم أرمي به إلى من يطلع على هذه الورقة؛ عله يسد خللاً، أو يعذر في زلل، أو يدعو لي في ظهر الغيب. فإن قصرت في شيء فحسبي أن أشد همة طالب.

ومن هنا أوصي بالآتي:

١. الاهتمام بالدراسات اللغوية الحديثة، وربطها بعلوم القرآن الكريم.

٢. اعتماد الآيات القرآنية بقراءاتها المختلفة أصلاً للتحليل اللغوي.

٣. ضرورة دراسة محددات المعنى عند المفسرين.
وأختم كما بدأت بحمد ربنا -جل ثناؤه- والصلاة على سيدنا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

١. ابن يعيش ، موفق الدين أبوالبقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج٢، ص ٢٩٤، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢. أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، المكتبة العصرية، بيروت، ط١.
٣. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٤. أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك، المتوفي، ٦٧٢هـ. شرح الكافية الشافية، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. أحمد محمد قدور. مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر - بيروت بدون تاريخ.
٦. الأشموني، نور الدين علي بن محمد، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٧. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، ت ١٢٧هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
٨. السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر، ط١، ١٩٩٢م.
٩. أميل بديع يعقوب، موسوعة النحو والصرف، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٠م.
١٠. عبد العزيز عتيق - علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
١١. محمد محيي الدين عبد الحميد، عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المكتبة العصرية، ١٩٩٨م.
١٢. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، بدون تاريخ.
١٣. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، بدون تاريخ.
١٤. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، تحقيق محمد محمد تامر، دار البيان العربي ط ١ ٢٠٠٥.
١٦. أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، تاريخ الطبعة ١٩٩٢م.
١٧. القرطبي أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد، مختصر تفسير القرطبي دار الكتب العلمية بيروت ط ١ (٢٠٠١).
١٨. القرطبي أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن المكتبة التوفيقية القاهرة بيروت.

Filename: بنك اللين.docx
Directory: C:\Documents and Settings\sust\My Documents\pdf(2)
Template: C:\Documents and Settings\sust\Application
Data\Microsoft\Templates\Normal.dotm
Title:
Subject:
Author: sust
Keywords:
Comments:
Creation Date: م ٠٣:٣٠:٠٠ ٢٠١١/٠٤/٠٤
Change Number: 8
Last Saved On: م ١٢:٢٧:٠٠ ٢٠١١/٠٤/٢٨
Last Saved By: sust
Total Editing Time: 50 Minutes
Last Printed On: م ١٢:٢٧:٠٠ ٢٠١١/٠٤/٢٨
As of Last Complete Printing
Number of Pages: 20
Number of Words: 4,321 (approx.)
Number of Characters: 24,636 (approx.)